عروض موقعة

من المسرح إلى الدراما التلفزيونية
(السبنسة وعائلة الدوغري نموذجًا) للدكتور/أحمد عمار

عرض وتقديم
د. سحر فتحي عبد العليم
المدرس بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

صدر حديثًا كتاب "من المسرح إلى الدراما التلفزيونية (السبنسة وعائلة الدوغري نموذجًا)"، لمؤلفه الدكتور أحمد عمار، المدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة، الحاصل على الدكتوراه عام ٢٠١٥م، ولمؤلف هذا الكتاب عدة مؤلفاتٍ، من بينها: "عصفور النار: دراسة تحليلية لأدب الدراما التلفزيونية"، وديوان شعري بعنوان "حنين"، "أيام الثورة"، وديوان بعنوان "٥٠٠ يوم"، كما قدَّم عددًا من البرامج التلفزيونية، منها: "شعراء تحت الأضواء"، و"البخلاء".

ويأتي كتابه الذي نعرض له استكمالًا لطريقٍ حاول أن يخوض غماره باحثًا مستكشفًا محاولًا استخلاص أهم سماته وخصائصه العامة، ألا وهو ما أطلق عليه، موافقًا عددًا من عمالقة هذا الفن، "أدب الدراما التلفزيونية".

فالدراما التلفزيونية تنطلق من النص بوصفه- على حد تعبير المؤلف-ـ الركن الرئيس الذي تقوم عليه؛ فالنصوص الروائية والمسرحية، والسير الشعبية، والسير الذاتية، والأساطير، والتاريخ، كلها بمثابة المعين الأساسي الذي تنهل منه الدراما التلفزيونية، وتتشكل من خلاله.

وسعيًا إلى التعرف إلى السمات والخصائص المميزة "للدراما التلفزيونية"، نتج التساؤل الجوهري الذي حاول هذا الكتاب، عبر صفحاته وما عقده فيها من مقارناتٍ، الإجابة عنه، حيث يتبلور السؤال على النحو التالي: ما الفارق بين الدراما التي تقدم على خشبة المسرح ومثيلتها التي تُقدَّم على شاشة التلفزيون؟ فكانت مسيرة هذا الكتاب منطلقَةً في الدراسة من المسرح إلى الدراما

التلفزيونية، عبر آلية المقارنة بين نصين يجمعهما أنهما كُتِبا في فترة زمنية واحدة (فترة الستينيات) ، وقُدّم كل نص منهما على خشبة المسرح، ثم قُدم بعد عرضه المسرحي بفترة عبر الشاشة التلفزيونية، وهما: "السبنسة"، و"عائلة الدوغري".

خُصص الجزء الأول من الكتاب للمقارنة بين "السبنسة" التي قدمها سعد الدين وهبة على خشبة المسرح، و"السبنسة" التي قدمها محمد جلال عبد القوي في الدراما التلفزيونية، ثم خصص الجزء الثاني من الكتاب لعقد المقارنة بين "عائلة الدوغري" التي كتبها نعمان عاشور لخشبة المسرح، و"عيلة الدوغري" التي قدمها محسن زايد للدراما التلفزيونية، ليعرض الجزء الأخير من الكتاب أهم النتائج التي توصل إليها مؤلفه، من خلال هذه المقارنات، فيكشف عن أهم ما يميز الدراما التلفزيونية ـ باعتبارها نوعًا أدبيًّا ـ عن المسرح، وإدراك الفروق الدقيقة التي تفصل بين هذين النوعين.

وفي مقارنته التي يعقدها "للسبنسة"، يتوقف عند التغيرات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع، فتلعب دورًا في تشكُّل النص وآلية تقديمه، حيث عُرضت "السبنسة" مرتين على خشبة المسرح، كانت المرة الأولى عام ١٩٦٣م، والمرة الثانية عام ١٩٨٦م، في هذه الفترة من الستينيات إلى منتصف الثمانينيات تطرأ العديد من التغيرات الاجتماعية التي تلعب دورها في تشكُّل النص، لاسيما أنه يُقدَّم لجماهير من المشاهدين، فيتوقف عندها المؤلف راصدًا إياها.

ثم ينتقل ليرصد ما يحدثه تغيير مسار العرض من تغييراتٍ في النص، حيث الانتقال من مسار دراما المسرحية إلى دراما العمل التلفزيوني، وما يقتضيه هذا الانتقال من شروطٍ وتغييراتٍ تتجاوز الفترات الزمنية والتغيرات الاجتماعية؛ ذلك أنها تتعلق بكيفية بناء الدراما التلفزيونية، فيتعرض لعنصر الزمن ليرصد، عبر تقنية المقارنة، اختلاف عناصر العمل الأدبي، حيث زمن العرض المسرحي واختلافه عن زمن العرض التلفزيوني، وما يحتمه عنصر الزمن من إعادة معالجة للنص، ثم ينتقل المؤلف لعنصر المكان، ثم الشخصيات، فيرصد عبر تحليله لشخصيات العملين اختلافًا كبيرًا في معالجة هذا العنصر بين العملين، وإن كانت ثمة جذور مشتركة تجمع الشخصيات. ويتوقف عند الصراع وقفةً مطولة؛ لكونه جوهر العمل الدرامي الذي يسهم في تحولاتٍ كبرى على مستويات متعددة، فيرصد عددًا من أشكال الصراع التي ظهرت في الدراما التلفزيونية لم يكن لها وجودٌ في دراما المسرحية؛ لما تتيحه الدراما التلفزيونية من مساحة لتتعدد أنواع الصراع من ناحية، وذكر تفاصيله الدقيقة من ناحيةٍ أخرى.

كما يتوقف المؤلف عند فكرة الرمز والرؤية المغايرة للرموز التي تجلت، عبر مقارنة بين تقديم العمل على خشبة المسرح وتقديمه في الدراما التلفزيونية؛ حيث يشير المؤلف إلى تخلي النص المُقدَّم عبر شاشة التلفزيون عن كثيرٍ من الرموز التي قدمها النص المُقدَّم على خشبة

المسرح، مفسرًا هذه المغايرة عبر الخصائص النوعية التي تحكم الفنين، ليعرض بعد ذلك لقضية اللغة بين المسرح والدراما التلفزيونية، من خلال مقارنة لغة النص بين هذا وذاك، متوقفًا عند دورهما الجلي على مستوى التشكُّل اللغوي.

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب، ينتقل- عبر تقنية المقارنة كذلك- إلى عملٍ إبداعي آخر، هو "عائلة الدوغري"، فيتناوله داخل فصلٍ بعنوان "عائلة" واحدة بين عاشور وزايد، يعرض فيه سياق تقديم هذا العمل على خشبة المسرح عام ١٩٦٣م الذي قدمه نعمان عاشور، وما حققه من نجاحٍ غير مسبوقٍ، ليُعرَض بعد مرور ١٧ عامًا من خلال دراما تلفزيونية بعنوان "عيلة الدوغري" على يد محسن زايد، ويلقى نجاحًا لا يقل عن العمل المسرحي، فيتناول عناصر البناء الفني ومناطق التشابه والاختلاف بين العمل المُقدَّم في كل من الفنين (المسرح والدراما التلفزيونية).

يخلص المؤلف عبر هذه الرحلة من المقارنة، إلى الجزء الثالث والأخير من هذا الكتاب الذي يأتي بعنوان "الخلاصة" التي تبلور وتوضح نتائج هذه المقارنة، فتقف على السمات النوعية المميزة والفارقة التي تسهم في تشكيلاتٍ متعددة ومختلفة، وقد تصل إلى حد التباين للنص نفسه في الفنين (المسرح والدراما التلفزيونية)، فيتوقف عند المساحة التي يتيحها المسرح، في مقابل المساحة التي تتيحها الدراما التلفزيونية، باعتبارها السمة الأبرز والأكثر تأثيرًا وتجليًا على مستوى جميع عناصر البناء الفني من أحداثٍ وشخصياتٍ وحوارٍ وصراعٍ وزمانٍ ومكانٍ، ويطلق عليها مؤلف الكتاب لفظة "البراح".

في النهاية، يمكننا القول إن هذا الكتاب يُعد بمثابة مغامرة بحثية؛ لجمعها بين مجالات قد تبدو ظاهريًّا متباعدة حيث العمل الأدبي من ناحية، والمسرح من ناحيةٍ أخرى، والدراما التلفزيونية من ناحيةٍ ثالثة، وكذلك لتناولها الدراما التلفزيونية بوصفها نوعًا أدبيًّا قابلًا لأن يخضع للدرس والتحليل، إلا أنها تُعد مغامرة مسايرة لعصرها؛ لما نشهده اليوم على المستوى البحثي من انفتاح مختلف المجالات والعلوم بعضها على البعض، وإفادة مختلف التخصصات من بعضها، وما أسفر عنه عصر البحث البيني من نتائج شديدة الأهمية، وإن كانت هذه الدراسة تحتاج لجدتها لمزيدٍ من الجهد التنظيري الذي يرسخ لأدب الدراما التلفزيونية ويقدم له، حيث طغى الجهد التطبيقي في هذا الكتاب على الجانب التنظيري الممهّد لما يطرحه المؤلف من أفكار.